

## المحاضرة الثانية: الأدب الجزائري بين التقليد والتجديد

المتبع لحركة الشعر العربي الجزائري يجد أنه كان له نفس المسار الذي عرفه الشعر العربي في المشرق والعربي عموماً، فقد عرف قطبين أساسيين هما قطب التقليد والمحافظة وقطب التجديد والانفتاح.

## أولاً- الشعر التقليدي المحافظ:

غلب على الساحة الشعرية الجزائرية خلال النصف الأول من القرن العشرين اتجاه الشعر التقليدي المحافظ فكان أكثر حضوراً وقوة ويرجع ذلك لجملة من الظروف والمؤثرات السياسية والثقافية والاجتماعية التي أحاطت الشاعر الجزائري في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، فيما ظل قطب التجديد منحصرًا في الشعراء والنقاد المتأثرين بالحركة الرومانسية العربية والغربية.

\*عوامل غلبة الاتجاه التقليدي المحافظ على الساحة الأدبية الجزائرية خلال النصف الأول من القرن العشرين:

## 01- التكوين الثقافي السلفي لشعراء هذه الفترة:

درس أغلب شعراء هذه الفترة في الزوايا والكتاتيب والمساجد فكان تكوينهم دينياً محضاً بمناهج تعليمية ضعيفة " جعلت الشعراء المتخرجين من هذه المراكز يصعدون في فهمهم للشعر أو نظمهم له عن هذه الثقافة الدينية التي قلما تعنى بالناحية الجمالية للشعر، ولا تهتم بالشكل كاهتمامها بالمضمون "، وأمام هذا الوضع المتأخر والضعيف لأساليب ومناهج التعليم التي سادت الجزائر، وجد بعض المتعلمين أنفسهم مضطرين لإتمام دراساتهم في البلدان المجاورة وبالذات في المغرب بجامع القرويين وفي تونس بجامع الزيتونة وجامع الأزهر بمصر، أين وجد هؤلاء المتعلمون في هذه المنارات العلمية طرقاً ومناهج تعليمية جديدة ومتقدمة عما تركوه في الجزائر، كما تبنا أفكاراً نهضوية وإصلاحية

تأثروا بها ، واستقى معظمهم من منبع سلفي واحد " فراحوا يتمسكون بالسلفية فيما يقرأون وفيما يكتبون ، وإذا بالشعراء منهم يصدر عن هذه الثقافة العربية الأصلية يبنون عليها رسالتهم الإصلاحية، وقيمون عليها نهضة البلاد وإذا بفكرة الإحياء والرجوع إلى الماضي تصبح عندهم النموذج الذي يجب أن يحتذى والقلبة التي تجذب العقل والعاطفة معا ". وكان الاهتمام بالقرآن الكريم لدى هؤلاء الطلبة حفظا وفهما وتفسيرا أثره العميق في تكوينهم وانعكاسه على نثرهم وشعرهم ولغتهم الأدبية.

## 02- تأثر الشعراء الجزائريين بالأدب العربي القديم:

يعد الشعر العربي القديم امتدادا للثقافة السلفية للشعراء المحافظين ومصدرا رئيسيا للغتهم وصورهم الشعرية ، ومكونا أساسيا لإثراء متونهم الشعرية ، إلى جانب أن الحركة الإصلاحية في الجزائر أولته أهمية في تثقيف الناشئين " فقد كان رجال الإصلاح يقصدون إلى أن تكون النهضة الأدبية في الجزائر مبنية على أسس التراث العربي القديم ويعتبرون هذا التراث رافدا قويا يرفد اللغة العربية المضطهدة في الجزائر " ، كما كان تكوينهم الثقافي العربي في مراكز الإشعاع الثقافي العربي بتونس ومصر والمغرب سببا في تعلقهم بالأدب العربي دون غيره إلى جانب طبيعة الصراع بين الجزائريين والاستعمار الذي عمل بشتى الوسائل للقضاء على اللغة العربية ، فكان الاهتمام بالأدب العربي القديم ولاسيما الشعر يهدف أساسا في الحفاظ على اللغة العربية لقوة الشعر العربي القديم ألفاظا وأساليبها وصورا ، إذ يعود له الفضل الأكبر في الحفاظ على نقاء وقوة اللغة العربية وريادتها. بل راحت تدعوا إلى وجوب التزود بعلوم اللغة العربية من بلاغة وعروض ونحو خاصة بالنسبة للأدباء والشعراء لأن إجادة الشعر والابداع فيه تتطلب من الشاعر التمكن من تلك العلوم التمرس فيها لتغذية ملكته الشعرية وإثراء منابع إبداعه.

## 3-تأثر الشعراء الجزائريين بمدرسة الإحياء العربية:

لعبت مدرسة الإحياء دورا بارزا في التأثير على الاتجاه الأدبي الإصلاحى فى الجزائر ويبرز ذلك من خلال اهتمام الحركة الأدبية الإصلاحية بشعراء المشرق العربى من أمثال "أحمد شوقى وحافظ إبراهيم ومعروف الرصافى وغيره من رواد المدرسة الإحيائية ، لأن شعر هؤلاء كان يمثل عنصر الإحياء عند الأدباء الجزائريين ، وأصبح القبلة التى يشد أنظارهم والنموذج الذى يستلهمون منه أشعارهم " ، وقد شهد الكثير من الشعراء الجزائريين بفضل شعراء المشرق عليهم ومتابعيهم لهم ولنشأتهم وأعجابهم الباهر المنقطع النظير بهم ومن ملامح هذه المتابعة وهذا الإعجاب نشر قصائدهم فى الصحف والجرائد العربية فى الجزائر مثل الشهاب و وادى ميزاب وأخذت هذه المتابعة بعدا قوميا وإسلاميا يدخل فى إطار الصراع بين الحركة الإصلاحية والاستعمار الفرنسى بالجزائر، ويظهر هذا فى قول ابن باديس بمناسبة إحياء ذكرى الشعراء أحمد شوقى وحافظ إبراهيم : " أيها السادة إننا باحتفالنا هذا بذكرى شاعري العربية العظيمة شوقى وحافظ نكرم سبعين مليوناً من أبناء العربية الذين يعدون العربية لغتهم القومية ونكرم خمسمئة مليون من أبناء الإسلام الذين يعدونها لغتهم الدينية ونكرم الأمم المتعدنة جمعاء التى يعترف أكبر علمائها المنصفين بمزية اللغة التاريخية على العلم والمدنية" .

ونتيجة لهذا الإعجاب بحركة الإحياء فإن الحركة الأدبية المحافظة بالجزائر ظلت محافظة على المفاهيم التقليدية للأدب عامة وللشعر خاصة على مدى تمسكها بالتراث العربى فى مواجهة كل ما هو أجنبى ولذلك رأت أن الشعر العربى بشكله القديم هو صورة من صور الهوية العربية التى يجب أن يحافظ عليها فى مواجهة التيارات والاتجاهات التجديدية الساعية إلى إحداث انقلاب فى شكل الشعر العربى ومضمونه . وتعود نظرة الحركة الأدبية المحافظة فى الجزائر لوظيفة الشعر ودور الشاعر إلى الواقع السياسى والاجتماعى المفروض الذى عاشته مما جعلها ترى فى الشعر وسيلة للتغيير والتوجيه والمقارنة وهذا ما أدى إلى تراجع قيمته الفنية أمام الاهتمام بجانب المضمون فيه.

## ثانيا - الاتجاه التجديدي في الأدب الجزائري:

قطب التجديد أو ما يعرف بالاتجاه الوجداني الرومانسي الذي ظهر كرد فعل على الاتباعية والقيود والقواعد والتقاليد الفنية التي فرضها الاتجاه التقليدي المحافظ الذي عزز من مكانة الشعر العربي القديم والمبادئ النقدية المتصلة به مما أدى ببعض الشعراء الشباب إلى الثورة على جميع أشكال التقييد والتقليد، يعود ذلك إلى تأثر هؤلاء الشباب بالشعر الرومانسي العربي والغربي الذي حمل سمات جديدة تستجيب للواقع الذي يعيشه الشاعر وتعطيه بيئة إبداعية واسعة تمكنه من التحرك فيها دون حواجز وقيود للتعبير على تجربته وإبراز فلسفته ورؤيته في الحياة والوجود ، وكان للواقع الذي عاشه الشعب الجزائري جراء الاستعمار السبب المباشر في ظهور الاتجاه الوجداني الرومانسي في الشعر الجزائري الحديث فهو واقع كله ظلم واضطهاد وقمع وآلام ومآسي وانعكس ذلك كله على الشعر الجزائري خاصة في فترة العشرينيات فاتسم بطابع الحزن والكآبة والبكاء وولد هذا الواقع المؤلم لدى الشعراء الإحساس بضرورة الثورة والتغيير والذي تجسد في الواقع الجزائري بميلاد الحركة الإصلاحية وما حققته من انتصارات في الميادين الاجتماعي والثقافي فدفعت بتقدم الأمل في النفوس وإعادة الثقة إليها وعملت على زحزحة اليأس وتراجعها ، كما تجسدت هذه الثورة في الحراك السياسي الذي توج بالمؤتمر الإسلامي عام 1936 "وكانت هذه التحركات كافية بأن تحرك العزائم وتبعث الأمل في النفوس وتوجه جهود المخلصين إلى التخلص من نير الاستعمار على اختلاف في الطرق والوسائل"، والمتتبع للشعر الجزائري في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين يلحظ الفرق في مضامين متنه بين الفترتين ففي فترة العشرينيات تميز المتن بأحاسيس اليأس والبكاء والحسرة والألم ، بينما تميز في الثلاثينيات بأحاسيس الأمل والتغني بثمار ثورة الإصلاح التي قادتها جمعية العلماء المسلمين ، لكن هذه الخيبة عادت إلى الشعر نتيجة لما أصاب الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي من تعفن وتردي لاستمرار فرنسا في سياستها القمعية وتلاعها بمصير الشعب.

## \*عوامل توجه الشعراء إلى الشعر الذاتي الوجداني:

01- الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لها تأثير مباشر في توجيه الشعراء إلى الشعر الذاتي الوجداني، فقد أخذ الشعر الجزائري في هذه الفترة يتجه اتجاها واضحا إلى التعبير عن المشاعر الفردية ، وظهرت فيه انعكاسات التجربة الذاتية بعد أن كانت نظرة الشاعر تغطي عليها الغيرية وشعر المناسبات ، وتعمقت هذه الجراحات وهذا الشعور باليأس والحسرة بعد أحداث الثامن ماي الأليمة لكنها استطاعت أن توجد شعرا آخر فيه قناعة بوجوب الثورة والتمرد.

02- التأثير بالتيار الرومنسي العربي الذي تمثله مدرسة الديوان و الرابطة القلمية وجماعة أبولو .

03- دور الصحافة العربية في الجزائر في فترة العشرينيات والثلاثينيات في التعريف بالحركة الأدبية التجديدية في البلاد العربية خاصة مجلة الشهاب التي لعبت دورا رياديا في ذلك إذ يعود الفضل الكبير إليها في نشر إنتاج شعراء المهجر من أمثال إيليا أبي ماضي، وجبران خليل جبران ، ونسيب عريضة وميخائيل نعيمة وغيرهم.

04- اعجاب أدباء الاصلاح برواد الشعر المهجري وتأثرهم به ، إذ كان ابن باديس معجبا بالشاعر إيليا أبي ماضي فهو ينعته بشاعر " المهجر الكبير " وينعت أدبه بالجميل الفتان .

05- الثقافة الفرنسية التي كانت مسيطرة على المجتمع الجزائري برغم الصلة الكبيرة التي كانت تربط الشعراء الجزائريين بالأدب العربي ، ومن بين الشعراء الجزائريين الذين احتكوا بالأدب الفرنسي واستفادوا منه وهم في نفس الوقت كانوا يتبنون فكرة التجديد من خلال منظور رومنسي هو " رمضان حمود" الذي يعد حامل لواء التجديد في الشعر الجزائري الحديث ويظهر ذلك من خلال مقالاته التي كان ينشرها في الصحافة العربية بالجزائر خاصة في مجلة الشهاب ومنها مقال بعنوان " حقيقة الشعر وفوائده " ومقالة أخرى

بعنوان " الترجمة وتأثيرها في الأدب " ، ويظهر من خلال هذين المقالين اعجاب رمضان حمود بالأدب الفرنسي الرومانسي وتأثره بمفاهيمه الخاصة بالشعر ودعوته للتجديد نابعة من قناعاته الهادفة إلى بعث الشعر الجزائري من خلال الاحتكاك بالأدب الغربي لضرورته وأهميته في ذلك.